العرب
الأحد 2020/01/12
السنة 42 العدد 11584

لعبة المخيلة ولهب الحقيقة

عن جيل الـ«PUBG» الذي يصنعُ العراق الجديد

من الذي قلب المعادلة في الشارع العراقي في 25 أكتوبر 2019؟ هل هي مؤامرة من اللوبي الإسرائيلي الأميركي كما يصرّح سياسيّو العراق في مؤتمراتهم الصحفية أو كما يصرّح محللون ورجال دين ونوّاب تستضيفهم فضائيات عراقية أو عربية؟ هل هي عودة لمدّ بعثي كما يزعم من يدير ميليشيات الدم والاختطاف في العراق؟ هل هي صحوة متأخرة كما يصرّح أي عراقي كان يهين العراقيين كل يوم على صفحته الخاصة من بروكسيل أو السويد أو لندن أو برلين أو أمستردام؟ هل هي ثورة ضد الفساد كما يدّعي من يريد ركوبها مصرّحاً من قناة الحرة الأميركية أو اتحاد الأدباء العراقي أو منصّة إصلاح في البرلمان العراقي أو اتحاد الشبيبة الشيوعي؟ الكل يروّج لما سبق ويصرّ على حصر ما يحصل في هكذا خطوط حسب توجّهات المصلحة الشخصية والغريزة المذهبية التي باتتْ تنهش العراقيين كالسرطان. ما يحدث فعلا غريب ولماذا في هذا الوقت تحديداً؟ ما يحدث باختصار كان وراءه جيل كامل. جيل ارتبط بلعبة إلكترونية تُدعى "PUBG"، فمن هو هذا الجيل؟ وماذا لديه؟ وكيف ظهر؟ إنه حراك افتراضي كبير ثار ليصبحَ حراكا كبيراً على الواقع.

محمد كريم
كاتب عراقي

من هو هذا الجيل؟ (غرافيكس «الجديد»)

ما بين سنتي 2017–2018 انطلقت لعبة "PUBG" على مواقع التواصل الاجتماعي وباتت ممارسة اللعبة بالموبايلات أمراً متاحاً بعدما كانت مقتصرة على الحاسوب وأجهزة الألعاب الإلكترونية من إكس بوكس وبلي ستيشن ليزداد مدمنوها لا سيّما في أوساط جيل 2000–2006 في العراق.

● 2019 جهات دينية تقوم بالتحريض على حظر اللعبة ووصل الأمر بالبعض إلى تحريمها وكتل سياسية في البرلمان العراقي تصعّد لمنعها، ليتم حظرها في العراق ويمارسها اللاعبون عبر برامج وتطبيقات تقوم بفتح اللعبة. وتذهب جهود المؤسسة الدينية والسياسية أدراج الرياح.

● أكتوبر 2019 حراك جماهيري يكتسح بغداد وغالب المحافظات الشيعية.

● قبل الحراك يجب الوقوف على التراكمات التي أنضجتْ هذا الحراك المختلف عن بقية التظاهرات التي شهدها العراق منذ الـ2003:

● منذ تسنّم سياسيي الشيعة للسلطة والعراق يواجه نفس الأمراض. أمراض صُنعتْ في العراق فقط (فساد يستشري في كافة مؤسسات الدولة، اقتصاد مشلول يعتمد على النفط فقط بعد تعطيل تام ومقصود لقطاعات الصناعة والزراعة والسياحة لإخراج الجارة إيران من حصارها بعد أن أصبح العراق سوقاً رائجا لكل ما تصدّره إيران إليه، نظام صحّي فاشل، نظام تعليمي فاشل، مؤسسة عسكرية فاشلة مبنية على المحسوبية والرشوة والطائفية والفساد، قمع للحريّات، تصعيد طائفي، خطوط حمراء أفرزتها الميليشيات تظهر مجدداً كدكتاتور جديد) مع ملاحظة أنّ سياسيي السنة يخدمون ناسهم ومناطقهم رغم فسادهم على النقيض من سياسيي الشيعة الذين يملؤون كروشهم وكروش أسيادهم في إيران.

● هذا الوضع المزري أدّى لتظاهرات بفترات متفاوتة (2011، 2013 ولاية المالكي، 2015، 2016، 2018 ولاية العبادي). ولكنها كانت تطالب بإصلاحات بسيطة تمثل أبسط حقوق المواطنة من تعيينات إلى ماء وكهرباء انتهتْ بالتسويف والمماطلة بعدما تم بيعها بقياداتها الدينية والثقافية واليسارية.

● اغتيالات سافرة ومُمنهجة للموديلز (تاره فارس، كرار نوشي...) والكتّاب والناشطين المدنيين (كامل شياع، علاء مشذوب (بـ13 رصاصة اخترقت جسده)، سعاد العلي، وسام العزاوي..) وخبيرات مراكز التجميل (رشا الحسن، رفيف الياسري) لتنهي الحكومة الموضوع بتصريحات حول جهات مسلحة مجهولة وتُغلق القضية وتُسجّل ضد مجهول. ضد خط أحمر لا يمكن لأيّ جهة في الدولة محاسبته.

● قبل حراك أكتوبر كان هناك حطب لهذا الحراك تمثل باعتصام الجيولوجيين (خريجو علوم الجيولوجي) طلباً بالتعيين. كذلك اعتصام شريحة الدراسات العليا (من يحمل شهادة ماجستير ودكتوراه) من كافة المحافظات في بغداد والذين جُوبهوا بسيارات الماء الساخن وفض اعتصامهم بطريقة تعسّفية واضحة، ليكلل كل هذا بالفتيل الذي أشعل الحراك والذي تمثل بنقل الفريق الركن عبدالوهاب الساعدي من إمرة جهاز مكافحة الإرهاب إلى إمرة الدفاع ولا يُخفى ما للساعدي من دور قيادي وميداني في عمليات تحرير الموصل وبالتالي له حضوره الطاغي في الشارع العراقي؛ لينطلق الحراك في 1 اكتوبر 2019 بجيل جديد لا يعرف الخوف. جيل عنيد ولا يملك شيئا يخسره. طبعا جابهت السلطة الحراك بأسلوب جديد لم تستخدمه من قبل تمثل بالقنّاص الذي بدأ بحصد المحتجّين وأعضاء القوات الأمنية، لتدخل القضية مماطلات جديدة وتسويفات معتادة في لجان تحقيقية تقرّها الحكومة، ثم تقرّ لجانٌ أخرى لمراقبة عمل هذه اللجان، وتقرّ لجان أخرى لمراقبة عمل هذه اللجان الأخرى وهكذا تبقى أصابع الاتهام ضد مجهول.

زيارة الأربعين / استئناف الحراك

في كل عام يدخل العراق جمع هائل من الزائرين للسير مشيا على الأقدام في المسيرة المليونية لزيارة الإمام الحسين وأخيه الإمام العباس في كربلاء. غالبية من يدخل العراق في هذه الزيارة هم من الشيعة وعلى التسلسل (إيران، البحرين، باكستان...). وأكثرهم من شيعة إيران. الذي تغيّر هذا العام هو الرفض الذي ترجمه الحراك ضد إيران بالذات لا سيّما بعد تصريحات إيرانية بانتهاك سيادة العراق بدخول عناصر عسكرية إيرانية بحجة حماية الزائرين الإيرانيين. ليدخل العراقيون بالكامل والكربلائيون بالذات في استفزاز وتوتر كبيرين مع الإيرانيين تحديدا تمثل في كل مفاصل الزيارة من البصرة حتى كربلاء.

ملحوظة مهمة: الاستئناف كان بقرار ورغبة المنتفضين كونهم يعرفون مدى عهر السلطة التي بإمكانها أن تفعل أي شيء وتتهمهم به. كذلك كان القرار احتراما لقدسية هذه المسيرة لدى طائفة الشيعة في الشعب العراقي.

> **ما يحدث باختصار كان وراءه جيل كامل. جيل ارتبط بلعبة إلكترونية تُدعى «PUBG»، فمن هو هذا الجيل؟ وماذا لديه؟ وكيف ظهر؟ إنه حراك افتراضي كبير ثار ليصبحَ حراكا كبيراً على الواقع**

نعود للعبة «PUBG»

● تعريف:

■ (اتركني في جزيرة وأعطني سلاحاً وقل لي إن حياتك تعتمد على موت الآخرين وانظر ماذا سأفعل؟!) الكلمة لكاتب الفيلم الياباني "BATTIL RUYALE". ليستوحي المصّور والجرافيك ومصمّم الألعاب الإيرلندي بريندان غرين فكرة اللعبة من الفيلم. قصّة الفيلم تتمحور حول طلاب في المرحلة الثانوية أجبروا على القتال لحد الموت من قبل الحكومة اليابانية والذي أثار جدلا كبيرا وتم حظره في بلدان عدّة. ليقرّر بريندان أن يعدّل الفكرة ويضيف 100 لاعب من مختلف أنحاء العالم ينزلون بمظلات في جزيرة بحثا عن الأسلحة للقتال تجنباً لقتل أنفسهم من خلال توجههم إلى المنطقة الآمنة وهي داخل الدائرة التي تصغر مع مرور الزمن لإجبار اللاعبين على الاحتكاك مع بعضهم البعض والفوز مع نجاة آخر لاعب من المائة. أصدرت اللعبة في 23 مارس 2017 على الحاسوب كنسخة مبكّرة ومن ثم أصدرت بشكل كامل في نفس العام وفي العام 2018 على جهاز الأكس بوكس والبلي ستيشن ثم الموبايل. وتعتبر بوبجي أكثر الألعاب مبيعا. وقد حققت أرباحا مهولة.

● ملاحظة:

■ يفضّل العراقيون اللعب بنمط التيمات أي الفرق وقد تكون أربع، أو اثنتين. وفي قانون اللعبة يكون الفريق الناجي الأخير هو الفائز.

ولا بدّ من الاشارة إلى إن "PUBG" اختصار لجملة (PlayerUnknown's Battleground) وتعني (ساحات معارك اللاعبين المجهولين).

خصائص مهمة لهذا الجيل

● أغلبيتهم بحكم إدمانهم اللعبة والتواصل الاجتماعي والسينما أصبحوا كائنات ليلية أي أنهم ينامون نهاراً وينشطون ليلا.

● جماعية اللعبة وكروبات التواصل الاجتماعي خلقتْ لنا جيلا يؤمن بالمشاركة واستماع الآخر أياً كان. جيل يؤمن بالجماعية في التغيير.

● التواصل الدائم من خلال الفيسبوك والواتساب والتلي كرام والإنستغرام وإدمان اليوتيوب والسينما أعطى منظومة معرفية شاملة طغتْ على المنظومة الأصولية الأخلاقية واستبدلتها بمنظومة مدنية تميل للتحرّر وتؤمن بالإنسان قبل كلّ شيء.

● الخصائص السابقة نفسها أنتجتْ لنا جيلا بلا خط أحمر. جيل يخترق جميع التابوات (سياسة، دين، جنس....) ويفعل ما يريده ولو كلّفه ذلك حياته.

● نفس المنظومة التواصلية خلقتْ جيلاً أنيقاً يُفصلُ ويُطردُ كلّ يوم من المدرسة ويُهان بسبب تسريحة شعرهِ أو ملابسهِ؛ ليأخذَ "سيلفي" خارج المدرسة وينشره في بوست على حسابه الشخصي "مطرود....ولكنّي سعيد" مع ابتسامة توحي بالحياة والحرية.

● تسريحات الشَعْر المغايرة والأحذية غريبة الأشكال التي يرتدونها بلا جوراب والبناطيل والتنورات والقمصان الضيقة وصارخة الألوان ولفّات الشال الحديثة. أدّتْ إلى ضغط المنظومة الاجتماعية بالكامل على هذا الجيل:

أ–المنظومة الأسرية. ب–المنظومة التربوية. ج–المنظومة الدينية

باعتبارهم غير ملتزمين أخلاقياً ولا يراعون العادات والتقاليد والقوانين وقد تذهب المنظومة الدينية بعيداً وتعبّر عنهم كمُخنّثين وأيضا شاذين وانحلاليين أو كفّار.

هذا الضغط بدوره ولّد الكثير من ردّات الفعل، فمثلا في بداية اجتياح تنظيم داعش للعراق برعاية حكومية لهذا الاحتلال وبعد إعلان فتوى المرجعية الدينية للجهاد الكفائي كان هناك من مات على الساتر في الموصل والرمادي وتكريت وجرف الصخر ومصفى بيجي وهو لم يكمل الخامسة أو السادسة أو الثامنة عشرة من عمره. لا لأجل المرجع الذي قد لا يؤمن به أصلا ولا لأجل المُرتّب البائس ولا لأجل الناس ولا حتى الوطن بل مجرّد أن يثبت لأبيه أو مدرّسه أو رجل الدين أو مؤذن الجامع القريب من بيته أنه أشجع منهم جميعاً .

> **في اللعبة النزول للحاويات يكون تحدّيا كبيرا إن اختاره اللاعب حيث يكون الأفراد مجرّدين من الأسلحة وينزلون للحاويات المتوفرة فيها الكثير من الأسلحة والمعدّات في أماكن معينة**

● نفسه هذا الضغط مضافاً إليه الضياع التام في عراق بلا أتفه الخدمات، بلا مستقبل، وبلا حرّيات؛ ولّد حالات انتحار بدأتْ بالظهور على البث المباشر من على جسر أو درّاجة ناريّة أو غرفة مغلقة، أو أي موضع آخر؛ شاب مراهق يظهر بكامل أناقته في فيديو طالبا ممن يعرفه أن يسامحه، وينهي حياته قبل أول تعليق على الفيديو.

● الجيل بحكم اللعبة أصبح يقاتل معه العراقي ضد غير العراقي في الكثير من الأحيان وبالتالي أصبح المذهب والدين عراقيا. هذا ما بدا واضحاً في علاقاتهم الاجتماعية الكثيرة وعندما تسأله كيف تعرّف بابن الرمادي أو ابن الناصرية أو ابن دهوك أو الكوت أو ابن ديالى سيجيبك ببساطة أنه تعرّف عليهم بالـ"PUBG". الفرحة لم تكن تُطاق عند اللقاء بين هؤلاء الصغار الكبار هل تعلمون أين كان اللقاء؟ لنشاهد منشور أحدهم:

قام (.....) بتحديث صورته الشخصية:
الخط الدفاعي الأول ▪ الأحرار
الصورة يجمعنا العَلَم أنا وعمر من (أبو غريب).